

أحاديث رمضان ١٤٣٥ - خواطر إيمانية - الدرس (١٠) : الحديث الشريف (من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً.....)

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠١٤-٠٧-٠٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وعلى صحابته الغر الميامين ، أمناء دعوته ، وقادة ألويته ، وارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين ، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم ، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات .

حديث شريف جامع مانع في طلب العلم :

أيها الأخوة الكرام ، روى مسلم في صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

((من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة))

[مسلم عن أبي هريرة]

حينما تتطلق من بيتك إلى المسجد تلتمس العلم في المسجد فهذا الطريق يؤدي بك إلى الجنة :



((وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ، وَعَشَّيْتُهُمُ الرَّحْمَةَ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ))

[مسلم عن أبي هريرة]

((ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه))

[مسلم عن أبي هريرة]

حديث شريف في طلب العلم جامع مانع .

تسخير الكون للإنسان تسخير تعريف و تكريم :



أيها الأخوة الكرام ، لا شك أن من المسلمات التي تعرفونها جميعاً أن هذا الكون فيه جماد ، وفيه نبات ، وفيه حيوان ، وفيه إنسان ، قال بعضهم : الجماد للنبات ، والنبات للحيوان، والحيوان للإنسان ، والإنسان لمن ؟ إنه الله ، الله عز وجل خلق الإنسان ليسعد بقره ، ليتعرف إليه ، وبعد أن يعرفه ويستقيم على منهجه ويتقرب إليه يسعد

ويسلم في الدنيا والآخرة ، فلذلك لأن الإنسان قبل في عالم الأزل حمل الأمانة في قوله تعالى :

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا

الْإِنْسَانُ ﴾

[سورة الأحزاب: ٧٢]

لأن الإنسان قبل حمل الأمانة سخر الله له ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه تسخير تعريف وتكريم ، موقف الإنسان من تسخير التعريف أن يؤمن ، وموقفه من تسخير التكريم أن يشكر، فإذا آمن وشكر حقق الهدف من وجوده ، قال تعالى :

﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَأَمَّنْتُمْ ﴾

[سورة النساء: ١٤٧]

أنواع العلم :

فلذلك هذا الإنسان الذي قبل حمل الأمانة سخر الله له ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه ، ومنحه قوة إدراكية ، هي الحاجة إلى العلم ، وبعضهم سماها الحاجة العليا في الإنسان ، أنت بحاجة إلى أن تأكل ، وإلى أن تتزوج ، وإلى وإلى سماها بعضهم الحاجات السفلية ، وهناك حاجة



علوية راقية أن تعرف الله ، أودع فيك قوة إدراكية تتميز بها ، فلذلك لا بد من أن تطلب العلم ، أي علم هذا ؟ بعضهم قال وكلامي دقيق : هناك علم بخلقه ، هذا الكون السموات ، الأرض ، المجرات، المذنبات ، الأرض بجبالها ، بوهادها ، بسهولها ، بحيواناتها ، ببحارها ، ببحيراتها ، الأرض هذا الكون مظهر لأسماء الله الحسنى وصفاته الفضلى فهناك علم بخلقه



العلم بأمر الله هو معرفة الأوامر والنواهي

وهذا العلم بخلقه من اختصاص الجامعات في الأرض ؛ كلية العلوم ، فيزياء كيمياء طبيعيات ، جمادات كلية الطب والهندسة ، العلم بخلقه ، اختصاص الجامعات في الأرض ، وهناك علم بأمره اختصاص كليات الشريعة في العالم الإسلامي افعل ولا تفعل، بالأمر والنهي والواجب والفرض ، صار عندنا علم بخلقه وعلم بأمره ،

كيف أصل إلى العلم بخلقه وإلى العلم بأمره ؟ قال : هناك نشاط أو مجموعة أنشطة تلخص بكلمة واحدة هي المدرسة ، هناك معلم يحمل علماً ، وهناك طالب علم

وهناك إلقاء محاضرة وإصغاء للمحاضرة، و مرجع ، و كتاب ، قراءة الكتاب ، وحفظ الكتاب ، وأداء الامتحانات ، ونيل الشهادات ، هذه العملية المعقدة المتتالية المنوعة بأكملها تسمى المدرسة ، فالعلم بخلقه والعلم بأمره يحتاجان إلى مدرسة ، أولاً : تقرأ وتكتب ثم تحمل شهادة عليا ، تفهم ما قرأت بعمق ثم تحفظ ثم تؤدي امتحاناً



العلم بالأمر ثم به باهظ لكن نتائجه رائعة

وتنال شهادة ، هذا علم بخلقه الكون ، وعلم بأمره الشريعة .

لكن العلم الثالث علم به ، بالأمر ، العلم به ثم به باهظ ، نتائجه رائعة أنت حينما تعرف الله تصبح إنساناً آخر ، عرفته ، عرفت منهجه ، طبقت منهجه ، أقبلت عليه ، حينما يتصل هذا الكائن الضعيف الإنسان بالذات الكاملة بالله عز وجل يشتق منه الكمال :

((إن محاسن الأخلاق مخزونة عند الله تعالى، فإذا أحب الله عبداً منحه خلقاً حسناً))

[الحكيم عن العلاء بن كثير]

أخلاق المؤمن و صدقه هما الشيء الحاسم في حياته :

لذلك النبي عليه الصلاة والسلام آتاه الله الوحي ، آتاه الله الحكمة ، جعله وسيقاً فصيحاً بيناً ، لكن حينما أتى عليه أتى على خلقه العظيم



لذلك ابن القيم الجوزية رحمه الله تعالى يقول : " الإيمان هو الخلق، ومن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الإيمان ". الإيمان معلومات وعقائد وتصورات ، وفهم وقوانين ومعادلات ، لكن وسيلة وليست غاية ، الغاية أن تتخلق بأخلاق الذات الإلهية ، تخلقوا بأخلاق الله ، هذا الخلق هو ثمن الجنة ، أي لو سألتني : ما هو الشيء الحاسم في حياة المؤمن

؟ أخلاقه صادق ، أمين ، عفيف ، يعتمد عليه ، مسؤول ، رحيم ، الله عز وجل قال :

﴿ فَبِمَا ﴾

[سورة آل عمران: ١٥٩]

عند علماء النحو هذه الباء باء السبب :

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ ﴾

[سورة آل عمران: ١٥٩]

أي يا محمد من خلال اتصالك بنا امتلأ قلبك رحمة بمن حولك ، فلما امتلأ القلب رحمة انعكست الرحمة لينا ، وهذا اللين دعا الناس إلى أن يلتفوا حولك ، المعنى المخالف المعاكس ، ولو كنت منتقظاً عنا لامتأ القلب قسوة ، ولانعكست القسوة غلظة ، عندئذ ينفذ الناس من حولك ، والآية هذه يحتاجها كل أب ، وكل أم ، وكل معلم ، وكل مدرس ، وكل أستاذ، وكل مرشد ، وكل إنسان يحتل منصباً قيادياً ، من أصغر منصب قيادي إلى أعلى منصب قيادي ، هذا الذي يقود مجموعة من الناس إذا كان متصلاً بالله يمتلئ قلبه رحمة ، وهذه الرحمة تتعكس لينا ، وهذا اللين يجعل من حوله يلتفون حوله ، وكل صاحب منصب قيادي بحاجة إلى هذه الآية .

من يُعمل عقله في معرفة الله يسعد وينجح ويحقق الهدف من وجوده :

لذلك أنت حينما تعرف الله ، وتعرف منهجه ، وتعرف كمالاته ، وتعرف أسماءه الحسنی ، وتستقيم على أمره أولاً ، وتتصل به ثانياً

تأتي التزكية ، وقد وردت في آيتين فقط:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾

[سورة الأعلى: ١٥]

هذه النفس حينما تتصل بالله عز وجل تزكو ، تصبح نفساً زكية أو زكية في حلم، في رحمة ، في أدب ، في عدل ، في إنصاف ، أنا أقول : المؤمن الصادق لا بد من أن تعشقه، أديب ، رحيم ، صادق ، أمين ، هذا المؤمن ،



بعد أن تتصل بالله تأتي التزكية

لا يمكن أن تكره مؤمناً هذا موصول بالله عز وجل ، موصول بأصل الكمال ، بأصل الجمال ، بأصل النوال ، فلذلك الإنسان أودع الله به قوة إدراكية لأنه قبل حمل الأمانة ، وسخر الله له ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه ، وهذا الكون فيه قوانين ، والشيء الدقيق أن عقلك أيها الإنسان يخضع مبادئ ، أحد هذه المبادئ مبدأ السببية ؛ فالعقل البشري لا يفهم شيئاً بدون سبب ، والكون نظامه سببي ، وهذا العقل البشري لا يفهم شيئاً من دون غاية ، وهذا الكون أي شيء بالإنسان له غاية



العقل البشري لا يفهم شيئاً بدون سبب

عالم ألماني سبب إيمانه بالله البقرة ، تقدم حوالي ستين كيلو من الحليب ، الوليد يحتاج إلى كيليين أو أكثر ، معنى هذا تطابق تركيب الحليب تطابقاً مذهلاً مع خصائص الإنسان ، الحليب هو الغذاء الكامل الأول ، فلذلك الإنسان عندما آتاه الله القوة الإدراكية حينما يعملها في معرفة الله يسعد وينجح ويسلم ويحقق الهدف من وجوده ، أنت

المخلوق الأول ، أنت مخلوق لجنة عرضها السموات والأرض ، مخلوق للأبد ، مخلوق أن تدخل الجنة ، وكل يوم أسعد من يوم لا تعبد ، ولا هم ، ولا نصب ، ولا قهر ، ولا ظلم ، ولا فقر ، ولا حقد ، ولا حسد فيه :

﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

[سورة النحل : ٣٢]

فلذلك :

﴿ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾

[سورة الزمر : ١٥]

طلب العلم طلب حتمي :

إذا أنت تملك قوة إدراكية ، هذه القوة الإدراكية تقتضي أن تطلب العلم ، ليس لك خيار ، لأنك من بني البشر يجب أن تطلب العلم ، وليس طلب العلم موسمياً بربضان فقط ، بل هو طلب دائم في كل أشهر العام ، هذا الطلب يؤكد إنسانيتك ، الذي لا يطلب العلم يهبط عن مستوى إنسانيته إلى مستوى لا يليق به ، بل إن الله سبحانه وتعالى



لأنك من بني البشر يجب أن تطلب العلم لإشباع قوتك الإدراكية

وصف هؤلاء الذين عزفوا عن طلب العلم فقال :

﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ﴾

[سورة النحل : ٢١]

﴿ كَانَتْهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ ﴾

[سورة المنافقون : ٤]

﴿ إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾

[سورة الفرقان : ٤٤]

أخواننا الكرام ، خيار العلم خيار حتمي .

خيار الإنسان مع الإيمان خيار وقت فقط :

مرة قلت : أنت تملك مليون خيار ؛



ترفض بيتاً لم يعجبك ، مساحته صغيرة،
سعره غال ، تريد الزواج تخطب فتاة لا
تعجبك أخلاقها فترفضها ، تملك مليون
خيار رفض إلا مع الإيمان تملك خيار
وقت ، فإما أن تؤمن بالوقت المناسب
وتنتفع بإيمانك ، أما حينما تؤمن بعد
فوات الأوان فهذا الإيمان لا تنتفع به :

﴿ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ أَمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا ﴾

[سورة الأنعام : ١٥٨]

هل هناك طالب بالأرض لا يدرس بالامتحان ؟ يقدم ورقة بيضاء ينال درجة الصفر بجدارة ، يأتي على البيت يفتح الكتاب المقرر يقرأ البحث يفهمه ، متى فهم البحث ؟

بعد فوات الأوان ، فلذلك جميع الحقائق التي جاء بها الأنبياء البشر جميعاً على اختلاف مللهم ، ونحلهم، وانتماءاتهم ، وأعرافهم ، وأنسابهم ، سوف يؤمنون بهذا ، والدليل أكفر كفار الأرض الذي قال عنه الله في القرآن الكريم :

﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾

[سورة النازعات: ٢٤]

والذي قال :

﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾

[سورة القصص: ٣٨]

فرعون عندما أدركه الغرق قال :

﴿ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ ﴾

[سورة يونس: ٩٠]

إذاً خيارك مع الإيمان خيار وقت ، فالبطولة أن تؤمن وأنت شاب .

الإنسان أحياناً بالثمانينات يتذكر الآخرة والموت لكن كل شيء انتهى ، أما هذا الشاب ، وإن الله ليباهي الملائكة بالشباب المؤمن ، ففي أول حياته كتلة نشاط ، طاقات ، ذهن حاد ، عضلات قوية، الآن ينبغي أن تؤمن ، فلذلك هذا الشاب الذي يبدأ حياته بمعرفة اله وطاعته والتقرب منه هو بدأ



بداية محرقة فله نهاية مشرقة ، فلذلك قيل : ويظل المرء عالماً ما طلب العلم ، فإذا ظنَّ أنه قد علم فقد جهل.

يقول الإمام الشافعي : " كلما ازدددت علماً ازدت علماً بجهلي " .

التعريف الدقيق للعلم :



لذلك من بعض التعريفات الدقيقة للعلم : علاقة بين متغيرين ، تطابق الواقع ، عليها دليل ، لو ألغيت الدليل لم تعد هذه الحقيقة علماً ، أصبحت تقليداً ، لو ألغيت مطابقة الواقع لم تعد هذه المقولة علماً أصبحت جهلاً ، كل شيء خلاف الواقع جهل ، وكل شيء من دون دليل تقليد ، فهي علاقة قطعية بين متغيرين، تطابق الواقع ، عليها دليل ، فذلك الله

عز وجل جعل في القرآن ألف وثلاثمئة آية تتحدث عن الكون والإنسان ، آية الأمر تقتضي أن تأتمر ، آية النهي تقتضي أن تنتهي ، وألف وثلاثمئة آية عن الكون والإنسان هذه ماذا تقتضي؟ تقتضي قوله تعالى :

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾

[سورة آل عمران: ١٩٠-١٩١]

والحمد لله رب العالمين